

تجارب دولية في مجال الإبداع المعرفي بالجامعات

أ/ بوحديد ليلي

جامعة

الحاج لخضر - باتنة -

الملخص:

يحظى موضوع الإبداع المعرفي بأهمية خاصة لدى الباحثين ومدراء المنظمات الساعية لتحقيق التطور والرفي ضمن بيئة تتصف بعدم الاستقرار وحدة المنافسة.

ويهدف هذا البحث إلى التعرف على ماهية الإبداع المعرفي، واستعراض بعض التجارب الدولية للإبداع المعرفي في الجامعات.

ولقد تم التوصل إلى أن الإبداع المعرفي يساهم في نقل الجامعات إلى مراكز الإنتاج المعرفي، توسيع مدى ونطاق المعرفة التي يكتسبها الفرد، وتغيير نوعية ومضمون القيم التي تؤكد عليها العملية التعليمية.

الكلمات المفتاحية: الإبداع المعرفي، التعليم العالي، الجامعات.

Résumé :

La créativité de connaissance a pris une place importante au près des chercheurs et les directeurs des organisations visant la réalisation du développement et du progrès au sein d'un environnement non stabilisé et concurrentiel.

Cette étude vise à identifier la créativité de connaissance, ainsi que l'exposition de certaines expériences internationales se rattachant à la créativité de connaissance au sein des universités.

Cette étude a prouvé que la créativité de connaissance contribue à transporter les universités aux centres de la production de connaissance qui se localisent notamment dans les sociétés d'informatique et de communication, élargir la connaissance de l'individu et changer la qualité et le contenu des valeurs qui la confirme le processus de l'enseignement.

Les mots clés : la créativité de connaissance, l'enseignement supérieur, les universités.

مقدمة:

يمثل موضوع الإبداع المعرفي رافدا معرفيا جديدا، سواء على صعيد النظرية الاقتصادية والأطر الفكرية و المنهجية، أو على مستوى التطبيقات العملية. وبرغم حداثة المصطلح أو المفهوم؛ فإن الدراسات الغربية قد شغلت نفسها خلال العقود الماضية بمحاولة تلمس مداخل منهجية للتعريف

بمعالمه، خاصة وأن هذا المفهوم قد جاء مصاحب و ملازماً لكثافة التفاعلات التي أوجدتها ثورة المعلومات بكل فروعها ومجالاتها. وعلى العكس النقيض فإن هذا المفهوم النظري الجديد لم يحظ بالكثير من الاهتمام من جانب الدارسين والباحثين العرب، ربما بسبب حداثة معرفتهم بثورة المعلومات والاتصالات وتجلياتها في كافة فروع المعرفة النظرية وتطبيقاتها العملية؛ وربما بسبب انشغال هذا العقل العربي بقضايا ماضية وتقليدية، وبالقدر الذي يعيننا في العالم العربي والإسلامي بصفة عامة والجزائر خصوصاً التعرف على معطيات الإبداع المعرفي، بقدر ما يعيننا كذلك عرض بعض التجارب الدولية حول الإبداع المعرفي في عدة مجالات، لعل أهمها بالجامعات.

إشكالية البحث:

لقد أحدثت ثورة المعلومات والاتصالات تحولات كبيرة وحادة في الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. ولعل من أهمها ظهور الإبداع المعرفي، والذي يفرض على التعليم الجامعي ضرورة إعادة النظر في أهدافه، فلقد كان التعليم الجامعي ولا يزال يتوجه في أهدافه بمقولة "الطلب يسبق العرض" وهذا ما جعل المخططين وواضعي سياسته يربطون عمليات الإعداد المهني "كما ونوعاً" باحتياجات سوق العمل.

ولكن في ظل ثورة المعرفة بات الأمر يقتضى عكس المقولة السابقة، أي تتوجه أهداف التعليم الجامعي انطلاقاً من أن "العرض يخلق الطلب"، وهذا يفرض على الجامعات أن تكون مصدراً للإبداع في الفكر والتكنولوجيا، كما يفرض عليها أن يكون لها رؤية حدسية عن مستقبل المجتمع واحتياجاته.

ومن هنا تأتي إشكالية البحث المتمثلة في إبراز ماهو واقع الإبداع المعرفي في الجامعات؟

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على الإبداع المعرفي في الجامعات، فالإبداع المعرفي يساهم في تكوين رأس مال معرفي الذي تمثله الأصول غير المادية وغير الملموسة، وما ينجم عنه من زيادة في نتائج المعرفة والعلم والذي يتسع حجمه باستمرار.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف بحثنا في النقاط التالية:

- تسليط الضوء على الإبداع المعرفي.
- استعراض بعض التجارب على الإبداع المعرفي بالجامعات بغية الاستفادة منها.

هيكل البحث:

للإجابة على التساؤلات في هذا الموضوع، ولإثراء هذا البحث وتقريبه من الواقع العملي حاولنا توضيح بعض التجارب الدولية حول الإبداع المعرفي في الجامعات، من خلال التطرق إلى ثلاثة محاور أساسية هي:

- أولاً، مفاهيم عامة حول الإبداع والمعرفة.
- ثانياً، ماهية الإبداع المعرفي.
- ثالثاً، استعراض بعض التجارب في مجال الإبداع المعرفي بالجامعات.

أولاً: مفاهيم عامة حول الإبداع والمعرفة

1- مدخل تمهيدي حول الإبداع :

يمثل الإبداع قوة أي منظمة في تمييزها عن المنظمات الأخرى، لأنه مصدر أساسي للنجاح ومؤشر للأداء المتميز، ولفهم أكثر لعملية الإبداع وجب التطرق إلى كل من، مفهومه، مستوياته، أسبابه والممارسات المؤثرة عليه.

1-1- مفهوم الإبداع:

يمكن تعريف الإبداع بأنه "أفكار جديدة ومفيدة ومتصلة بحل مشكلات معينة أو تجميع وإعادة تركيب الأنماط المعروفة من المعرفة في أشكال فريدة"، ولا يقتصر الإبداع على الجانب التقني لأنه لايشمل تطوير السلع و العمليات المتعلقة بها وإعداد السوق فحسب، بل يتعدى أيضاً الآلات و المعدات وطرق التصنيع والتحسينات في التنظيم نفسه ، ونتائج التدريب والرضى عن العمل بما يؤدي إلى زيادة الإنتاجية".⁽¹⁾

والإبداع ليس إلا رؤية الفرد لظاهرة ما بطريقة جديدة، لذلك يمكن القول إن الإبداع يتطلب القدرة على الإحساس بوجود مشكلة تتطلب المعالجة، ومن ثم القدرة على التفكير بشكل مختلف ومبدع، ومن ثم إيجاد الحل المناسب.

1-2- مستويات الإبداع:

يظهر الإبداع في العديد من المستويات ومنها:⁽²⁾

- الإبداع على المستوى الفردي:

يكون لدى العاملين إبداعية خلاقة لتطوير العمل وذلك من خلال خصائص فطرية يتمتعون بها كالذكاء و الموهبة أو من خلال خصائص مكتسبة كحل المشاكل مثلا، وهذه الخصائص يمكن التدريب عليها وتتميتها ويساعد في ذلك ذكاء الفرد وموهبته.

- الإبداع على مستوى الجماعات:

تكون هناك جماعات محددة في العمل تتعاون فيما بينها لتطبيق الأفكار التي يحملونها و تغيير الشيء نحو الأفضل كجماعة فنية في قسم الإنتاج مثلا.

- الإبداع على مستوى المنظمات:

هناك منظمات متميزة في مستوى أدائها وعملها وغالبا ما يكون عمل هذه المنظمات نموذجي ومثالي للمنظمات الأخرى، وحتى تصل المنظمات إلى الإبداع لابد من وجود إبداع فردي و جماعي.

وإن هناك العديد من الباحثين الذين ميزوا بين نوعين رئيسيين من الإبداع على مستوى المنظمات وهما:

- الإبداع الفني:

يتعلق بالمنتج سواء السلع أو الخدمات ،ويتعلق بتكنولوجيا الإنتاج أي بنشاطات المنظمة الأساسية التي ينتج عنها السلع أو الخدمات.

- الإبداع الإداري:

يتعلق بشكل مباشر بالهيكل التنظيمي والعملية الإدارية في المنظمة، وبشكل غير مباشر بنشاطات المنظمة الأساسية.

1-3- أسباب تبني الإبداع في المنظمات:

يمكن إيجاز هذه الأسباب بما يلي: (3)

- الظروف المتغيرة التي تعيشها المنظمات اليوم، سواء أكانت ظروف سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية والتي تحتم على المنظمات الاستجابة لهذه المتغيرات بأسلوب إبداعي يضمن بقاء المنظمة واستمرارها.

- يحتم الإبداع الفني والتكنولوجي في مجال السلع والخدمات و طرق إنتاجها وقصر دورة حياتها على المنظمات أن تستجيب لهذه الثورة التكنولوجية وما يستلزمه ذلك من تغييرات في هيكل المنظمة

وأسلوب إدارتها بطرق إبداعية أيضا ،مما يمكنها من زيادة أرباحها وزيادة قدرتها على المنافسة و الاستمرار في السوق من خلال ضمانها لحصتها السوقية بين المنظمات المنافسة.

- ندرة الموارد الأمر الذي يتطلب إيجاد طرق إبداعية ملائمة لتحقيق الأهداف التنظيمية في ظل الموارد المتاحة.

1-4- خصائص و سمات الشخصية المبدعة:

يمكن إيجاز بعض الخصائص التي يتميز بها الشخصية المبدعة فيمايلي: (4)

- الذكاء و الثقة بالنفس على تحقيق أهدافه، و أن تكون لديه درجة من التأهيل و الثقافة.
- القدرة على تنفيذ الأفكار الإبداعية التي يحملها الشخص المبدع.
- القدرة على استنباط الأمور فلا يرى الظواهر على علاتها بل يقوم بتحليلها ويثير التساؤلات و التشكيك بشكل مستمر .
- لديه علاقات اجتماعية واسعة ويتعامل مع الآخرين فيستفيد من آراءهم.
- يركز على العمل الفردي لإظهار قدراته وقابليته، فهناك درجة من الأنانية.
- غالبا ما يمر بمرحلة طفولة غير مستقرة مما يعزز الاندفاع على إثبات الوجود و إثبات الذات، فقد يكون من أسرة مفككة أو أسرة فقيرة أو من أحياء شعبية.
- الثبات على الرأي والجرأة والإقدام والمجازفة والمخاطرة، فمرحلة الاختبار تحتاج إلى شجاعة عند تقديم أفكار لم يتم طرحها من قبل.
- يفضل العمل بدون وجود قوانين وأنظمة.
- يميل المبدعون إلى الفضول و البحث وعدم الرضى عن الوضع الراهن .

1-5- الممارسات الإدارية التي تؤثر في الإبداع

توجد عدة ممارسات تؤثر على عملية الإبداع وهي كالآتي: (5)

- التحدي:

عن طريق تعيين الشخص المناسب في الوظيفة المناسبة والتي تتصل بخبراته ومهاراته ، وذلك يؤدي إلى توقد شعلة الإبداع لديه ،كما أن التسكين في المكان غير المناسب يؤدي إلى الإحباط والشعور بالتهديد.

- الحرية :

وتتمثل في إعطاء الموظف الفرصة لكي يقرر بنفسه كيف ينفذ المهمة المسندة إليه ، فذلك ينمي الحافز الذاتي وحاسة الملكية لديه.

- الموارد:

أهم موردين يؤثران على الإبداع هما: الوقت والمال ، وتوزيعهما يجب أن يكون بعناية فائقة لإطلاق شرارة الإبداع عند الجميع، وعلى العكس فإن توزيعهما بشكل غير عادل يؤدي إلي تثبيط الهمم، كما أن مساحة المكان الذي يعمل فيه الموظف كلما كانت واسعة كلما حركت الخيال المبدع أكثر.

- ملامح فرق العمل:

- كلما كان فريق العمل متآلفا ومتكاملا كلما أدى ذلك إلى مزيد من صقل مهارات التفكير الإبداعي وتبادل الخبرات ويكون ذلك من خلال:
- الرغبة الأكيدة للعضو في تحقيق أهداف الفريق.
- مبادرة كل عضو إلى مساعدة الآخرين وخاصة في الظروف الصعبة.
- ضرورة تعرف كل عضو على المعلومات المتخصصة التي يحضرها الأعضاء الآخرون للنقاش.
- تشجيع المشرفين:

أن معظم المديرين دائما مشغولون ،وتحت ضغط النتائج يفوتهم تشجيع المجهودات المبدعة الناجحة وغير الناجحة، فلا بد من تحفيز الدافع الذاتي حتى يتبنى الموظف المهمة ويحرص عليها ويبدع فيها والمؤسسات الناجحة نادرا ما تربط بين الإبداع وبين مكافآت مالية محددة والمفترض أن يقابل المدير أو المشرف الأفكار الإبداعية بعقل متفتح وليس بالنقد أو بتأخير الرد أو بإظهار رد فعل يحطم الإبداع.

- دعم المنظمة:

إن تشجيع المشرفين يبرز الإبداع ، ولكن الإبداع حقيقة يدعم حينما يهتم به قادة المنظمة الذين عليهم أن يضعوا نظاما أو قيما مؤكدة لتقدير المجهودات الإبداعية، واعتبار أن العمل المبدع هو قمة الأولويات ،كما أن المشاركة في المعلومات وفي اتخاذ القرارات والتعاون من القيم التي ترعى الإبداع.

2- المعرفة:

يمكن التطرق إلى المعرفة من حيث: التعريف، الأصناف والإدارة.

2-1- تعريف المعرفة:

يمكن تعريف المعرفة على أنها "معلومات تمت معالجتها، وهي خلاصة تجميع وترتيب المعلومات بشأن موضوع معين في مرحلة معينة، وهي أكثر قيمة وفائدة وبها يتم اتخاذ القرار".⁽⁶⁾ ويتم اكتساب المعرفة بعدة طرق منها التعلم في الجامعات والمعاهد، والتعلم عن بعد، والتدريب والتواصل بالمشاركة ضمن فرق العمل والجماعات التي تعمل لتحقيق أهداف المنظمة وتناقل المعارف من الأفراد الذين يملكونها فكريا إلى الأفراد الآخرين، ليتم توليد معارف جديدة.⁽⁷⁾

2-2- أصناف المعرفة:

صنف بولاني (Polanyi) المعرفة لفرعين أساسيين: المعرفة الضمنية والمعرفة الظاهرية.⁽⁸⁾ إضافة إلى أن الأصول غير الملموسة كالقيم، والصورة الذهنية للمنظمة، الحدس، الاستعارات، ونفاذ البصيرة تشكل أهم الأصول التي ينبغي الاعتناء والاهتمام بها لأنها تشكل قيمة مضافة للعمليات اليومية التي تقوم بها المنظمة.

- المعرفة الضمنية:

تتعلق المعرفة الضمنية بالمهارات والتي من غير السهولة نقلها أو تحويلها للآخرين، وقد تكون تلك المعرفة فنية أو إدراكية، والتي هي في حقيقة الأمر توجد في داخل عقل وقلب كل فرد.

- المعرفة الظاهرية:

تتعلق المعرفة الظاهرية بالمعلومات الموجودة والمخزنة في أرشيف المنظمة ومنها (الكتيبات المتعلقة بالسياسات والإجراءات المستندات معايير العمليات والتشغيل) ، وفي الغالب يمكن للأفراد داخل المنظمة الوصول إليها واستخدامها ويمكن تقاسمها مع جميع الموظفين من خلال الندوات، اللقاءات، والكتب والتعلم عن بعد.

2-3- إدارة المعرفة:

إدارة المعرفة هي استخدام المعرفة والكفاءات والخبرات المجمعة المتاحة داخليا وخارجيا أمام المنظمة، فهي تتضمن توليد المعرفة وانتزاعها ونقلها بشكل نظمي، بالإضافة إلى التعلم من أجل استخدام المعرفة وتحقيق الفائدة للمنظمة.⁽⁹⁾

ويرى الباحثون في مجال إدارة المعرفة أنها تتضمن العناصر التالية:⁽¹⁰⁾

- التعاون:

ويعني المستوى الذي يستطيع فيه الأفراد ضمن فريق العمل مساعدة احدهم للآخر، أي العمل معا بروح الفريق للوصول إلى تحقيق أهداف المنظمة.

– الثقة:

وتعني الحفاظ على مستوى متميز ومتبادل من الإيمان بقدرات بعضنا البعض على مستوى النوايا والسلوك، فكلما توفرت الثقة أمكن سهولة الاتصال وتبادل المعلومات مما يزيد في حصيله المعرفة وتدعيم إدارة المعرفة.

– التعلم:

ويعني عملية اكتساب المعرفة الجديدة من قبل الأفراد القادرين على استخدام تلك المعرفة لاتخاذ القرارات، أو للتأثير على الآخرين، ويتم التعلم بعدة طرق منها: التعلم في الجامعات، التعلم عن بعد، التكوين، ... وغيرها.

– المركزية:

وتعني تركيز صلاحيات اتخاذ القرارات، والرقابة على التنفيذ بالهيئة التنظيمية العليا للمنظمة.

– الرسمية:

إن إدارة المعرفة تحتاج إلى الرسمية حتى تتحكم في المعرفة.

– الخبرة الواسعة:

تعتبر الخبرة الواسعة والعميقة ضرورية لإدارة المعرفة واحد عناصرها الهامة.

– تسهيلات ودعم نظام تكنولوجيا المعلومات:

يعتبر نظام تكنولوجيا المعلومات من العناصر الهامة في توفير المعرفة، وتخزينها، واستخدامها عند اللزوم من خلال برامج الكمبيوتر والانترنت الدولي.

– الإبداع التنظيمي:

ويعني القدرة على خلق القيمة والمنتجات والخدمات والأفكار أو الابتكار.

ثانيا: ماهية الإبداع المعرفي

يتم التطرق للإبداع المعرفي من خلال التطرق إلى مفهومه وأهم التحديات التي تواجه المنظمات في ظلّه و منابعه.

1- مفهوم الإبداع المعرفي:

يتمثل الإبداع المعرفي في عملية تدفق المعرفة وتحويلها من معرفة ضمنية إلى ظاهرة بين الموارد البشرية، من خلال تشجيع عملية التجريب، وتهيئة المناخ التنظيمي الداعم لممارسات المعرفة الفضلى.

إن المعرفة والإبداع وجهان لعملة واحدة هي الإبداع المعرفي فالمعرفة هي أساس الإبداع ومدخلاته، والإبداع هو ناتج المعرفة ومخرجاتها ، وما لم تتوج المعرفة بالإبداع تصبح المعرفة خاملة أكثر قابلية للاندثار والذوبان والنسيان ، والإبداع هو عمليات النشاط العقلي المعرفي لمعالجة المعرفة وتوليفها وإعادة صياغتها وإنتاجها لتشكل الناتج الإبداعي المعرفي.

يتنامى الإبداع المعرفي بالتلاحق الفكري والانتقال عبر الأجيال من خلال الكتب والمراجع والبرامج والأنشطة والمشروعات والندوات والمؤتمرات، في أطر من الحريات الأكاديمية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، العلاقات بين المعرفة والإبداع المعرفي والحرية الأكاديمية هي علاقات خطية مطردة، حيث يزدهر الإبداع المعرفي في سياق من السياسات والعقول المنفتحة الداعمة المرحبة بالاختلاف، السياق الذي يسمح باستقلال عمليات تقويم الأفكار عن عمليات توليد الأفكار. (11)

2- أهم التحديات التي تواجه المنظمات في قضية الإبداع المعرفي:

تعتبر الحاضنة الأساسية للإبداع المعرفي هي المورد البشري الذي يتولى عملية الإبداع، ومن ثم تحويله إلى ابتكار ليحمله يعمل، ولعل أهم التحديات التي تواجه المنظمات في قضية الإبداع المعرفي مايلي: (12)

- مشاركة الأفراد الأفكار لتجعلها جزءا من الذاكرة التنظيمية.
- تشجيع تنمية الأفكار وتشكيلها على شكل مشاريع ونماذج.
- تغليف نتائج المعرفة في عمليات ومنتجات رأس المال الفكري للمنظمة.

3- منابع الإبداع المعرفي:

هناك مبتكرات تولد في ومضة عبقرية، غير أن معظمها لا سيما الناجح منها هو وليد البحث الواعي والهادف عن فرص الإبداع التي تتوفر في حالات قليلة فقط، إذ توجد هناك أربع حالات ضمن الشركة أو الصناعة وثلاثة أماكن إضافية خارج الشركة وضمن بيئتها الاجتماعية والفكرية. (13)

3-1- الحالات الأربع التي توجد ضمن الشركة أو الصناعة:

وتتمثل في الحالات التالية:

- الحوادث غير المتوقعة:

إذ تمثل الحوادث المفاجئة غير المتوقعة منبع الإبداع، ومثال ذلك شركة (إ.ب.م) عندما طورت أول آلة حاسبة حديثة من أجل عمل المصارف، لم تشتريها المصارف سنة 1933 وسرعان ما جاءت الفرصة التي أسعفت الشركة حينما أرادت مكتبة نيويورك العامة شراء الآلة، وبعدها احتلت الشركة الصدارة في صناعة الحاسوب وظلت متربعة عليه حتى يومنا هذا.

- التعارض أو التناقضات:

ويتمثل في التحولات التي تحدث في وجهات النظر وليس في التكنولوجيا، وهو ما أحدث التغيير في النقل مثل شركات السفن والشحن وسكك الحديد.

- احتياجات هذه العمليات:

كانت الحاجة للعمل على المقسم الآلي لكل فتاة عازبة ضرورية بسبب زيادة الاتصالات الهاتفية وزيادة عدد السكان في أمريكا إلا أن الحاجة أم الاختراع، حيث قامت الشركة بتطوير وتركيب المقسم الآلي. فحلت المشكلة.

- الصناعات وتغيير السوق:

إن التغييرات في بنية الصناعة تتمخض عن فرص جديدة في الإبداع، فعندما تتغير بنية الصناعة أو السوق فإنها تتيح المجال للمجددين في فرص جيدة ليخلو بها لأنفسهم فترة طويلة، وهو ما لا يهتم به التقليديين من كبار الصناعيين ويندران تلائم الفرص الجديدة الطريقة التي دخلت بها السوق.

3-2- الأماكن الخارجية لفرص الإبداع: وهي كالآتي :

- التغييرات السكانية:

تعد هذه التغييرات الأهم في جميع فرص الأعمال الابتكارية الخارجية، ومن الأمثلة على ذلك أن اليابانيين تصدروا صناعة الإنسان الآلي كثمرة لاهتمامهم بالمسائل السكانية.

- تغييرات في المفاهيم :

عندما نقول (نصف الكوب المليء) و (نصف الكوب الفارغ) عبارتان تصفان نفس الظاهرة لكنهما مختلفان في المدلول، وتغيير المفهوم من النصف الأول إلى الثاني يفتح فرصا للابتكار والتجديد.

- المعارف الجديدة: إن المبتكرات الصانعة للتاريخ والتي تصنف في مرتبة عالية، تلك التي يتم بناؤها على المعرفة سواء أكانت علمية أو فنية أو اجتماعية.

ثالثاً: استعراض بعض التجارب في مجال الإبداع المعرفي بالجامعات:

سوف نعرض فيما يلي لتجارب بعض الجامعات تبنت الإبداع المعرفي:

1- التجربة الامريكية : (14)

يعد مشروع جامعة واشنطن استجابة لضغوط مندوبي المناطق الفقيرة التابعة للولاية، حيث حثت هذه الضغوط حكومة الولاية على البحث عن صيغة ملائمة من التعليم الجامعي، تساعد في إعادة الانبعاث التنموي لهذه المناطق ، وضرورة أن تتوسع أهداف هذا التعليم لتشمل إلى جانب توجهاتها الاقتصادية جوانب اجتماعية وثقافية ضرورية من أجل عملية التنمية. وبالشراكة بين الجامعة وعدة **The 21st Learner** مؤسسات إنتاجية وخدمية في ولاية واشنطن تم صياغتها في مشروع أطلق عليه و يستهدف هذا المشروع مواجهة تحدى الانفجار في الطلب على التعليم العالي والجامعي، وهذا التحدي لا يمكن مواجهته من خلال النمط القائم للتعليم العالي، والذي يأخذ الطبيعة التجارية، لذا استوجب في هذا المشروع إعادة ترتيب جذري لأولويات في التعليم العالي، من خلال وضع اهتمام المتعلمين واحتياجاتهم في جوهر وبؤرة عملية اتخاذ القرار في التعليم العالي.

وحدد المشروع توجهها عاما للتعليم العالي في الولاية، وهو انه ينبغي أن يتجه التعليم العالي لاغناء وإثراء حياة المواطنين في الولاية، ويسمح لهم باستغلال فرص العمل والحياة المتاحة، ويعمل على ازدهار التكنولوجيا، وزيادة المعرفة حول العالم، والتحول نحو الإبداع المعرفي، وتحسين نوعية الحياة في المجتمعات المحلية، وتدعيم فرص الاستمتاع بها.

واعتمدت خطة المشروع على التمويل الذاتي من خلال استثمارات المجتمع المحلي، وبمشاركة من مؤسسات المجتمع والمواطنين كما اتخذت الخطة لنفسها شعارين وهما "المسؤولية والمشاركة".

كما تعد أهداف هذا المشروع واستراتيجياته ترجمة لما تم التوصل إليه من أفكار وتصورات من مصادر عدة منها : لجنة التعليم حتى عام 2020 وما قدم من أبحاث وما تم من مناقشات ، وما أسفرت عنه عمليات استطلاع آراء وآمال قطاعات كبيرة من المواطنين والمؤسسات والمنظمات في الولاية، حيث ساعدت هذه الآراء على بلورة أهم التحديات التي تواجه التعليم العالي في الولاية للتحويل إلى الإبداع المعرفي، وأسهمت كذلك في طرح بعض التصورات المهمة لمواجهة هذه التحديات.

ومن أجل العمل وفق هذا التوجه فإن خطة المشروع حددت ثلاثة استراتيجيات أساسية وهي :

- إعادة هيكلة الفلسفة والأهداف من أجل إمكانية تقديم فرص التعليم العالي لكل المقيمين في الولاية.

- العمل على جعل التعليم العالي متاحا دون حواجز من أي نوع وتحفيز الإبداع.

- تقديم الدعم المالي لكل من لا يستطيع تحمل تكلفة الالتحاق به.

وبناء على هذه الاستراتيجيات حددت خطة المشروع خمسة أهداف رئيسية وهي :

- * عمل محك لتقويم تعليم الطلاب من خلال قياس المسؤولية والكفاءة والفاعلية والإبداع.
- * العمل على تحسين مستوى الأداء لمرحلة التعليم السابقة ومن أجل استغلال فرص التعليم العالي. ولكن الخطة وإدراكا من معديها لأهمية مراحل التعليم قبل الجامعي في إعداد الفرد لمواصلة الحصول على فرصة التعليم العالي فإنها توجّهت في بعض مشاريعها الفرعية بالدعم لهذه المرحلة، من خلال عدة إجراءات، منها تحسين مستوى أداء المعلمين في التعليم قبل الجامعي، وتحسين الإدارة المدرسية، والمساعدة في إعادة صياغة المناهج بحيث تؤكد على التعلم الذاتي، كما توجّهت بالاهتمام لأولياء الأمور، حيث استهدفت تشجيعهم على الاهتمام برعاية ومتابعة تعليم أبنائهم، وتقديم بعد التسهيلات وأوجه الدعم لهم.

* تمكين المواطنين من الاستفادة القصوى مما هو متاح من طرق وأساليب للتعلم.

* دعم إمكانية استخدام التعليم العالي لتكنولوجيات التعليم الإلكتروني والحث على الإبداع المعرفي.

* مساعدة مؤسسات التعليم العالي على الوفاء بحاجات الطلاب، وعلى المنافسة في سوق العمل المتزايدة التعقيد.

2- التجربة الاستراتيجية: (15)

من أهم المبررات التي جعلت جامعة جنوب استراليا تأخذ بمدخل الإبداع المعرفي:

- تزايد الحاجة للالتحاق بالتعليم الجامعي.
 - التنوع الكبير في حاجات المقبلين على الالتحاق بالتعليم الجامعي.
 - الحاجة لتقدم فرص التعلم مدى الحياة وتحفيز روح الإبداع والمعرفة.
 - بروز أهمية التعليم الجامعي في تحسين نوعية الحياة للفرد والمجتمع ومن مختلف النواحي.
- وحدد برنامج الإبداع المعرفي بجامعة جنوب استراليا مواصفات الخريج في :

- امتلاك كم من المعرفة تكفى للتعلم في المجالات التطبيقية والمهنية، ولتسهيل متابعة المعرفة الجديدة، ومن خلال متابعة التعليم في مراحل الدراسات العليا.

- القدرة على الإبداع والاتصال مع الآخرين بفاعلية، سواء داخل بيئة العمل المهني أو خلال المجتمع المحلي.

- الفهم والالتزام بالممارسة الأخلاقية في علاقات الأفراد، والالتزام بالعدالة الاجتماعية.

- اكتساب قدرات ومهارات التعلم مدى الحياة والقدرة على الإبداع.

ومن أجل الوصول بالخريج لهذه المواصفات، فإن برنامج التعليم المقدم سعى لإجراء تعديلات هيكلية في أدوار وممارسات هيئة التدريس، وكذلك في محتوى المقررات بحيث تتوجه المقررات للتكامل فيما تقدمه من معارف، وإعادة تشكيل ما تقدمه من مفاهيم بحيث تتناسب وتتواءم مجموعات الدارسين، وتتواءم السياقات الاجتماعية التي يعيشون فيها، مع تعدد مصادر المعرفة، والاعتماد على بيئة العمل كمصدر ومكان ملائم لاكتساب بعض الخبرات، مع الالتزام بالمرونة في شروط الالتحاق، وتعدد أساليب التقويم وأزمته.

إلا أن ما ينبغي أن نؤكد عليه أنه ما يزال هذا النمط من التعليم يواجه تحديات صعبة، لعل أكثرها صعوبة ما يتعلق بنظام الاعتماد، فإذا كانت سمات التعليم الجامعي التقليدي بصيغته المغلقة وبأهدافه المحدودة ساعدت المسؤولين عنه إلى حد ما في الوصول إلى تحديد مجموعة من المعايير لاعتماد مخرجاته، فمثل هذه المعايير لا يمكن تطبيقها في نظام التعليم الافتراضي أو مؤسسات التعليم المفتوح أو التعليم عن بعد.

لقد انقسمت آراء التربويين فمنهم من يرى بأن نظم الاعتماد المتبعة حالياً في النظام التعليمي التقليدي، مع عمل بعض التعديلات، يمكن أن يناسب هذه الصيغ المستحدثة، فالمعايير الحالية على قدر من المرونة تسمح بذلك، بينما هناك رأى آخر يؤكد على أن شدة التباين في الفلسفة والأهداف بين نمط التعليم التقليدي والأنماط المستحدثة من تعليم مفتوح وتعليم من بعد تجعلنا نؤكد عدم ملائمة معايير الاعتماد الحالية.⁽¹⁶⁾

3- التجربة السويسرية:⁽¹⁷⁾

نظراً لطبيعة المعرفة المعقدة، تم بناء نموذج كلي متكامل يعمل وفقاً لأنشطة الإدارة في جامعة جيبف السويسرية، حيث استخدم في النموذج عمليات إدارة المعرفة واعتمد النموذج على بناء كتل كونت الإطار العام لتطبيقات الإبداع المعرفي وهي على النحو التالي:

- تعريف أهداف المعرفة التي تحدد الاتجاه الاستراتيجي لها.
- تشخيص المعرفة الموجودة، ومعرفة الفجوة المعرفية بين الداخل والخارج.
- اكتساب المعرفة كأهم عملية في بناء كتل النجاح.
- تطوير المعرفة الداخلية ويتمثل ذلك في تطوير القدرات والمهارات، وتعزيز مشاركة المعرفة.

- الانتفاع بالمعرفة الموجودة من خلال استخدامها.
 - حفظ المعرفة واسترجاعها وتقدير قيمة المعرفة.
- كل خطوة من الخطوات السابقة تتضمن مجموعة من الأنشطة المعينة التي يشترك فيها الموارد البشرية، والعملياتية، والتكنولوجية، لكن يبقى محور التركيز هو المورد البشري ونشاطاته داخل الجامعة.

الاتجاه المستقبلي للجامعة يقود إلى تحريك إدارة المعرفة من المستوى التشغيلي إلى الاستراتيجي، حيث أن متطلبات التعلم والمعرفة تقتضي منها إيجاد وتعميق الروابط الداخلية وإيجاد القدرات، وهذا هو التوجه الوحيد الذي يجعلها تركز على إستراتيجية المعرفة وفعالية إدارة المعرفة في تحقيق أهدافها كمنظمة تعليمية.

4- التجربة المصرية:

تعود بداية التعليم من بعد في مصر إلى الستينات من القرن الماضي، حيث اتجهت بعض الجامعات وخاصة كليات الآداب والتجارة والحقوق إلى تحرير بعض الطلاب من شرط الحضور، للحرم الجامعي، حيث تم الأخذ بنظام الانتساب، ولكن ظلت بقية الالتزامات مطبقة كشروط القبول ونظام التقويم ودراسة نفس المقررات وزمن الدراسة.. الخ.

أما بداية التطوير والبحث عن أنماط جديدة تزيد من التحرر من الشروط السابقة ظهرت في الثمانينات، حيث أجرى المجلس القومي للتعليم دراسة عن التعليم العالي، أوصى فيها بضرورة الأخذ بنظم التعليم المستمر والجامعات المفتوحة من أجل إتاحة مزيد من الفرص أمام الراغبين في التعليم الجامعي.

وفي عام 1984/83 بدأت أولى تجارب التعليم من بعد، وذلك لتأهيل معلمي المراحل الابتدائية للمستوى الجامعي، وتميز هذا البرنامج بأنه سبقه دراسة لتحديد حاجات الدارسين، كما تمت هذه التجربة من خلال الشراكة بين كليات التربية ووزارة التربية والتعليم، الا انه يمكن القول بأن هذا

البرنامج لا يعمل وفق فلسفة التعليم المفتوح، حيث تم تطبيق العديد من الشروط الخاصة بالالتحاق وتوحيد محتوى المقررات ونمطيتها ومركزية التقويم وتوقيته .. الخ.

أما البداية الحقيقية لظهور التعليم المفتوح فكانت عام 1990، من خلال جامعتي الإسكندرية والقاهرة، ثم تلاهما بعد ذلك جامعتا عين شمس وأسيوط. وإذا أخذنا نمط التعليم المفتوح المطبق بجامعة القاهرة كنموذج ، فإننا نجده في أهدافه يركز على التأهيل المهني، حيث يستهدف الإعداد من أجل الحصول على المؤهل، أو إعادة تأهيل بعض أصحاب التخصصات الأخرى التي لا تجد عملا مناسباً ، ولذا فإنه يرتبط فقط بالبعد الاقتصادي من أبعاد تنمية المجتمع، ولا يهتم بذات القدر ببقية الأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية لعملية التنمية.

كما أن لوائحه تقيد من فرص الالتحاق به حيث تقصرها على الحاصلين على شهادة المرحلة الثانوية " العامة أو الفنية" ، بالإضافة لقيود أخرى خاصة بسنوات الحصول على الشهادة الثانوية أو معدلات الطالب فيها. كما أن بعض التخصصات يتطلب الالتحاق بها اجتياز بعض الاختبارات الشخصية.

ولا يعتمد تطبيق هذا النظام في مصر على الشراكة المجتمعية ، حيث تنعدم الشراكة بين الجامعة ومؤسسات المجتمع الإنتاجية أو الخدمية سواء في التخطيط لبرامج الدراسة أو في تحمل بعض تكلفتها، والملاحظ أيضاً أن نمط التعليم من بعد والتعليم المفتوح المطبق في مصر لا يراعى في إعداد محتوى مقرراته الخبرات التي لدى الدارس من قبل، ولذا نجد أن الكل يتشابه من حيث عدد المقررات التي يدرسها ومحتواها ونظام التقويم وزمن الدراسة، على الرغم من التباين في الخبرات بين الدارسين قبل الالتحاق، ويعتمد التقويم فيه على الامتحانات التحريرية.

وفي عام 2000 أجرى المجلس الأعلى للجامعات دراسة عن تجربة التعليم المفتوح بمناسبة مرور عشرة سنوات عليها، ورصدت هذه الدراسة بعض إيجابيات وسلبيات هذه التجربة، وكان من الإيجابيات أن التعليم المفتوح ساعد على تخفيف الضغط على مؤسسات التعليم العالي، وأتاح المجال للإبداع المعرفي، وأسهم كذلك في تخفيف بعض الأعباء التي تقع على خزانة الدولة، نتيجة لتحمل الدارسين في نظام التعليم المفتوح جانباً كبيراً من تكلفة تعليمهم . أما أهم السلبيات التي رصدتها هذه الدراسة فكانت كما يلي: (18)

- قصور عملية تصميم وإخراج المواد التعليمية، فهي في الغالب مقررات نظام التعليم الجامعي التقليدي، وتتشابه معها كذلك في طريقة إعداد المادة التعليمية وإخراجها، وتعتمد في الغالب عملية الإعداد على جهد الأستاذ المحاضر.

- وكثيرا ما يعتمد على طريقة المحاضرات والتي عادة ما تكون مصورة على شرائط فيديو، أو تلقى بالطريقة التقليدية عندما يتجمع الطلاب في المراكز المخصصة لذلك.

- لا يعتمد على نظام الإرشاد الأكاديمي، على الرغم من أهمية ذلك في مثل هذه البرامج.

- مركزية الإدارة والإشراف والتقييم.

- اعتماد التقييم على الامتحانات التحريرية.

- العجز في كثير من الإمكانيات اللازمة لمثل هذا النظام، سواء من أعضاء هيئة تدريس مدربة، أو مباني مجهزة، أو وسائل ووسائل تعليمية.

وفى ضوء ما طرح عن هذه التجربة في مجال التعليم المفتوح والتعليم من بعد، يمكن القول أنه ما يوجد من صيغ للتعليم المفتوح والتعليم من بعد ما زال يسيطر عليه فكرة الجامعة التقليدية. ومن ثم لعمل تطوير حقيقي للتعليم الجامعي، للأخذ بنمط التعليم المفتوح والتعليم من بعد، وللتوجه نحو الإبداع المعرفي، فإن هذا يستلزم التأكيد على ما يلي:

1- إن نمط التعليم الجامعي المفتوح والتعليم من بعد له فلسفته وأهدافه ومبررات وجوده، وكل هذا يجعله مختلفاً عن نظام التعليم الجامعي التقليدي في تنظيمه الإداري وبنية الأكاديمية وبرامجه وأساليب وتقنيات التدريس فيه وأساليب تقييم أداء الدارسين، ومن ثم أيضاً في نظم اعتماد شهادته، ويتوقف النجاح على تبنى هذا النمط على مدى الوعي بذلك.

2- أن نمط التعليم الجامعي المفتوح والتعليم من بعد يتباين في ظروف نشأته عن التعليم الجامعي التقليدي، فالتعليم التقليدي أصل فكرته جامعة البرج العاجي، أما نمطي التعليم المفتوح والتعليم من بعد ظهرا داخل المجتمع وارتبطا بعوامل تنميته، وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن هذه الصيغ والنماذج تختلف من مجتمع لآخر، وعلينا أن نختار من هذه النماذج ما يناسب ظروف مجتمعنا.

3- يقتضى تحديدنا لما هو ملائم لمجتمعنا من صيغ ونماذج التعليم الجامعي المفتوح والتعليم من بعد ضرورة إجراء دراسات معمقة لواقع احتياجات مجتمعنا من هذا النمط من التعليم، سواء على مستوى المؤسسات بمختلف أنشطتها التنموية، أو على مستوى الأفراد في مختلف بيئات المجتمع المصري، مع عدم إغفال الرؤية المستقبلية لتحديد هذه الاحتياجات.

4- لا ينبغي للتعليم الجامعي المفتوح و التعليم من بعد أن يكونا باباً خلفياً للجامعات التقليدية، بحيث يلتحق بهما ذوى المعدلات المنخفضة في الثانوية العامة، أو من تحول ظروفهم الاقتصادية دون ذلك ، فهذا يضعف كثيراً من مخرجاتها ويقلل من قيمتها الأكاديمية والاجتماعية.

5- ليس من المناسب الاعتماد على الجامعات التقليدية في العمل على إنشاء مؤسسات التعليم من بعد، بحجة ما تملكه هذه الجامعات من إمكانات مادية وبشرية تؤهلها لذلك، أو حتى يمكنها بهذا التوجه أن تزيد من مصادرها المالية، فهذه الجامعات في كثير من الأحيان تكون عائقاً أمام تفعيل هذا النمط من التعليم.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع تم التوصل إلى أن الأخذ بمدخل الإبداع المعرفي سوف يؤدي إلى تطوير التعليم الجامعي من عدة جوانب منها:

- نقل الجامعات إلى مراكز الإنتاج المعرفي والتي توجد الآن بدرجة أكبر في شركات المعلومات والإعلام، و يساعد هذا على المزج بين ما تقدمه الجامعات من معرفة أكاديمية تدور حول النظريات والمفاهيم والتفسيرات مع المعرفة الرمزية المتداولة الآن والتي تنتجها شركات المعلومات، مما يزيد من فرص الإبداع، ويضبط حركة الإنتاج الرمزي ويوجهها لصالح الإنسانية.

- توسيع مدى ونطاق المعرفة التي يكتسبها الفرد، فإذا كان النظام التقليدي للتعليم الجامعي يركز على المعرفة الأكاديمية الموضوعية والمنهجية، فإن مدخل الإبداع المعرفي بتوسيعه لبيئة التعلم ومصادره يسمح للفرد باكتساب جانبا آخر من المعرفة وهي المعرفة الضمنية، وهي نوع من المعرفة التي لا يمكن ترجمتها بسهولة إلى معرفة أكاديمية ، وتكتسب من خلال المعاشية والتقليد والمحاكاة ولا نقل عن المعرفة الأكاديمية كمصدر إبداع.

- تغيير نوعية ومضمون القيم التي تؤكد عليها العملية التعليمية، فالتعليم الجامعي بأساليبه التدريسية وبمعايير التقويم ونظم الامتحانات فيه يؤكد على قيم التنافس والفردية في الأداء وسرية المعرفة، بينما طبيعة العملية التعليمية في ظل مدخل الإبداع المعرفي تدفع لتبنى قيم المشاركة والتعاون وتبادل الخبرات.

الهوامش:

- (1) - جون هونكز، اقتصاد الإبداع، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010، ص19.
- (2) - جمال خير الله، الإبداع الإداري، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص19.
- (3) - عاكف لطفي خصاونة، إدارة الإبداع والابتكار في منظمات الأعمال، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص41.
- (4) - جمال خير الله، مرجع سابق، ص31.
- (5) - خير سليمان شواهين، الإبداع، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص95.
- (6) - احمد الخطيب، خالد زيغان، إدارة المعرفة ونظم المعلومات، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص6.
- (7) - جمال يوسف بدير، اتجاهات حديثة في إدارة المعرفة والمعلومات، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص154.
- (8) - عصام نور الدين، إدارة المعرفة والتكنولوجيا الحديثة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص13.
- (9) - جمال يوسف بدير، مرجع سابق، ص34.
- (10) - عصام نور الدين، مرجع سابق، ص39.
- (11) - بكري معتوق عساس، الإبداع المعرفي، متوفر على الموقع: (بتاريخ: 2013-02-12)
www.sauress.com/almadina/209831
- (12) - عبد الستار العلي، عامر إبراهيم قنديلجي، غسان العمري، مدخل إلى إدارة المعرفة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2006، ص344.
- (13) - المرجع نفسه، ص348-346.
- (14) - Washington State University, "The 21st century Learner", **Washington Higher Education Coodinating Board**, Master Plan, 2000, date de consultation :12-02-2013
www.hecb.wa.gov/policy/master-plan/mpindex.htm.
- (15) - Rigmor, G. & Rosemary, L "The critical place of Information literacy in the Trend Towards Flexible Delivery in Higher Education contexts", **Learning for life Conference**, Adelaide, 30 Nov. 1 Dec. 1995.
- (16) - Shannaon, L.; "Distance Education and Accreditation; **The George Washington University, Department of Education**, ERIC. HE Digest series EDO – HE 2001 – 08.
- (17) - عبد الستار العلي، مرجع سابق، ص322.
- (18) - إبراهيم محمد إبراهيم، التعليم المفتوح في جامعة عين شمس رؤية مستقبلية، مؤتمر التعليم الجامعي العربي عن بعد (رؤية مستقبلية)، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، 17-18 ديسمبر 2002.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب العربية

- 1- الخطيب احمد، زيغان خالد، إدارة المعرفة ونظم المعلومات، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
- 2- العلي عبد الستار، قنديلجي عامر إبراهيم، غسان العمري، مدخل إلى إدارة المعرفة، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2006.
- 3- بدير جمال يوسف، اتجاهات حديثة في إدارة المعرفة والمعلومات، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010 .
- 4- خصاونة عاكف لطفي، إدارة الإبداع والابتكار في منظمات الأعمال، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن، 2011.
- 5- خير الله جمال، الإبداع الإداري، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.
- 6- شواهين خير سليمان، الإبداع ،عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
- 7- نور الدين عصام، إدارة المعرفة والتكنولوجيا الحديثة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.
- 8- هونكرز جون، اقتصاد الإبداع، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.

ثانياً: الكتب الأجنبية

- 1- Rigmor, G. & Rosemary, L “The critical place of Information literacy in the Trend Towards Flexible Delivery in Higher Education contexts”, **Learning for life Conference** , Adelaide, 30 Nov. 1 Dec. 1995.
- 2- Shannaon, L.; “Distance Education and Accreditation; “**The George Washington University, Department of Education**, ERIC. HE Digest series EDO – HE 2001 – 08.

ثالثاً: المؤتمرات

- 1- إبراهيم محمد إبراهيم، التعليم المفتوح في جامعة عين شمس رؤية مستقبلية، مؤتمر التعليم الجامعي العربي عن بعد (رؤية مستقبلية)، مركز تطوير التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، 17-18 ديسمبر 2002.

رابعاً: المواقع الالكترونية

- 1- بكري معتوق عساس، الإبداع المعرفي، متوفر على الموقع: (بتاريخ: 12-02-2013)
www.sauress.com/almadina/209831
- 2- Washington State University, “The 21st century Learner”, **Washington Higher Education Coodinating Board**, Master Plan, 2000, date de consultation :12-02-2013
www.hecb.wa.gov/policy/master plan/mpindex.htm.